«مشاهد»

د/ محمد أحمد النهاري

كان المشهد مثيرا، شاب بعمر الزهور يتقلد بندقية يجري في الجبل عله يراقب فريسته البشرية.

أسرعت أبحث عن زينب في المدرسة- كانت طلقات الرصاص تعزف ألحان القبور، المدرسة فاغرة، دهشتها، مدرسات زينب وأخواتها على درجة من الارتباك بينما «الافنديون» مشغولون بالفوضى ويستمتعون بموسيقى الجنائز!

لقد حاولت أن أكذب أن «بابا» سيأتي الآن إنه في البوابة لأخفف شيئا من الرعب الذي اعتقل بوحشية طفلات، مغطات عيونهن بدموع سخية، سخينة، وحاولت أصرخ- بدل ميكرفون عطلته الفاجعة- كل الأساتذة يبقون مع الطلاب في الفصول ... ادخلوا الفصول ،ادخل، ادخلي.. لا نخاف يا بابا. مفيش حاجة يا ماما.. واختلط صوت الرصاص بصراخ.. بابا.. ماما.. أما الجنود ففرصة سانحة للتعبير عن إحباط، فهذا الجندي المسكين في عز الظهر غارق في همومه هو أيضا.

نحن بحاجة إلى ضرورة أن نفهم أنه إذا لم نستطع أن نتفاهم حول الغنائم بسلام ونحترم نظرية «ماركس» في تقسيم العمل فلتكن الساحات وما أكثرها البعيدة عن مدارس الأطفال وميادين الاعتصامات ونقاط التفتيش هي الأماكن المناسبة لتجريب عضلاتنا المدربة جيدا على حمل خزائن المال العام بل لأننا ماهرون جدا في انتقاء التباب والجبال والهضاب فبإمكاننا تخصيص ساحات للتفوق في تسديد الرميات القاتلة.. ما هو جدير بالذكر أننا تخلينا عن القرآن فلم نعد نفرق بين قتل النفس العمد دون حق ولم نعد نحترم العرف فلا نفرق بين «العيب الأسود» والخيط الابيض «وهات يالبيج».

أيها الذين يتقاتلون نحتاج إلى مشاف ميدانية قبل إطلاق الرصاص لنغسل «بتانتور» المحبة ما علق من فهم خاطئ للإسلام، لعل بعض الذين يحتشدون معتصمين في الموالاة والمعارضة معا يفقهون أن حزب الإصلاح ليس الإسلام وأن المؤتمر ليس الوطن وأن المبيت بمزدلفة ومنى لا ينطبق على ساحات التغيير .

ما هو يقين أن مؤسسات كان يفترض أن تمارس مهماتها إنما كانت رجما بالغيب ومحض ظنون ما هو يقين أن هناك مؤسسات ظل قامت بتوجيه اعداد غير قليلة من الشباب والشيوخ معا وغسلوا أدمغتهم فهم أي الشباب ينفذون توجيهات هي إلى الصوت المتشنج والغلو في الرأي أقرب ومشكل الأحزاب أنها شمولية أكانت دينية أو وضعية يصدق فيها قول الحق تعالى «كل حزب بما لديهم فرحون»، فالكل يرى أن حزبه هو المنقذ من الضلال والخارج وحده وليس غيره بالوطن من كل مآسي الحياة وشدائد الدنيا وأنت لا تستطيع أن تجادل بعض الشباب، فالحق وحده ما يراه وأي خروج عما يقول إنما هو خروج عن الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل إن الوسطي من بعض هؤلاء يخفف من غلوائه فيزعم أن الخروج عن رأيه هو خروج عن الثوابت الوطنية وأستغفر الله أن يكون الله هو الحزب وأن الوطن هو الحزب!!

بعبارة ثانية في ضوء غفلة مخيفة من المؤسسات الرسمية والشرعية وجد مغرضون فرصة سانحة حد تعبئة مفهومات خاطئة غيرت المصطلحات وتجاوزت المواصفات ويقطف المجتمع اليمني الثمرة الآن فوضى تكاد تكتسح كل شيء ولعل هذه الفوضى ليست صادرة عن اضطراب المفهومات وحسب وإنما صادرة عن عدم تجانس الأفكار، فمنصات التغيير واقعة في شرك الأنانية وكل فئة تريد أن تستأثر بالخطاب تمهيدا للاستئثار بالثورة.

أما المشهد الإعلامي فمثير لعديد ملاحظات:

- أن هناك تضليلا مقصودا عائداً لعدم القدرة على السيطرة الإبلاغية بوجه عام.

- لم تتوفر كوادر قادرة على المحاورة والمداورة حتى بدا المشهد الإعلامي يعاني من عدم إخراج الحقائق كما ينبغي، وهذا ما كنا نبهنا عليه قبل فلا بد أن يتوافر كادر اختصاصي يجعل الإعلام قادرا على أداء دوره الوطني بشكل جيد بينما الطرف الآخر يبدو قادراً على أداء رسالته الإعلامية حتى المغالطة.

ما حدث أخيراً على صُعد شتى كشف عورات كثيرة منها أن مؤسسات الدولة سارت بل سيرت أمورها على نحو روتيني، بلا هدف ولا فكرة، وأن بعض الجهات أو المؤسسات عاشت فترة ضلال فكأنها لم تكن إلا لمجرد صرف مليارات الريالات من الخزيبة العامة إضافة إلى أن «الثقة» لم تكن في محلها بكثير من الذين اعتبرناهم ذخرا لأيام الشدة، وهذا خطأ بنيوي عظيم!!

لم تفلح الهيئات الاجتماعية بما في ذلك الأحزاب في تقديم رؤية استراتيجية لإصلاح الأوضاع بل هي تعيش ممارسة المناورة بأساليب بالية، غير صالحة للاستخدام المعاصر، مما يجعلها غير مؤهلة لقيادة المجتمع، بل إن المطلوب الآن أن تغير من خطابها الفكري وآلياتها التي أصبحت مثار استغراب لأنها للاستفزاز أقرب، كما ان مما يلحظ أن شريحة كبيرة من المثقفين والمناضلين والذين يحتفظ لهم المجتمع برصيد من التقدير والاحترام لاذوا بالصمت والاكتفاء بالفرجة على ميدان المصارعة، كأنهم ليسوا من أبناء هذا البلد الذي يتعرض للفجيعة.

يلاحظ أيضا أن البنى التي تأسست على ثقة وحسن نية، واتخذت سياسات المداراة والمراضاة، وشد حبل وإرخاء آخر، وأصبحت ملحقة يبيت العنكبوت لأنها لا تتفق مع متطلبات العصر فلكل عصر شروطه وآلياته، وأن استخدام آليات عصور سحيقة لزمن معاصر هو ما يتفق مع منطق الأشياء وطبيعتها.

كشف هذا الحدث أن هناك ما ينبغي أن يقال فهناك بعض أطراف ينبغي أن تظهر وجهها الحقيقي للجيل التاثر الآن أو الذي سيثور في المستقبل، فلقد أظهرت بعض التحقيقات التلفازية بعض حقائق وكشفت أقنعة أرجو ألاّ يستعيرها آخرون فإن الحقائق ستظهرها في قادم الأيام.

إحداها فرصة للتنبيه إلى قضية على درجة من الخطورة، يعيشها المجتمع اليمني - هذه القضية تدل على أن كلا من الأسرة والتربية والتعليم والبيئة الثقافية أهملت واجبها التربوي على نحو غير مقبول فكانت المخرجات الأخلاقية سيئة للغاية .. نحن نقدر مدى الإحباط الذي وصل إليه الشباب، غير أن الانفعال بواسطة هذه اللغة الخلو من التهذيب أزعجت الجميع، بل جعلت «العقلاء» ينظرون بعين القلق لهذا المستوى من الانحدار السلوكي في الخطاب وقضية ثانية بحاجة إلى تنبيه وهي أن طائفة من الشباب تعاني من عدم الانضباط المرجعي، كما لو كان دليلاً على فقد الولاء الأسري، أو أن هذه الفئة من أبنائنا عاشت في مجمعات معزولة أسريا، والمرجعية أمر ضروري في العلاقات الاجتماعية وعلى الصعيد الديني والأخلاقي والعرفي.

ثم إن الشباب قد اختزن طاقة أكثر من اللازم بفعل الظلم المجتمعي والترشيد الموجه بشكل خاطئ وبفعل ضغط عنيف ضد حاجات حياتية مشروعة.

وأخيراً فيا أيها اليمانون .. المكابرة رديف المقامرة ومؤدية لمغامرة مهلكة .. لقد كانت النتيجة .. دماء طهور تسفك، وقبح يطال العلاقات والشوارع والنفوس، بفعل أنانية مقيتة بلغت حد الشراسة والفضاضة، وبما أن للشدائد بعض فوائد، فإن من فوائد الشدة اليمنية ظهور حقائق كانت غائبة، أولى بأبنائنا الشباب وزملائنا الشيوخ أن يقفوا عليها ليأخذوا العبرة.

منظومة القيم

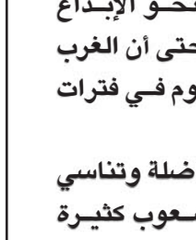

أحمد عبدالله الشاوش

.. إن مجموعةالقيم والأخلاق التي ميز الله بها أنبياءه ورسله ، وتوارثها العلماء والصالحون ، وورثوها للأجيال عبر المناهج العظيمة والتربية السليمة هي أسمى ما في الوجود من الخصال الحميدة والسجايا الطيبة التي تجسد مكارم الأخلاق .. فيها المحبة والتسامح والعفو وتقوية الروابط الإنسانية وباكتساب هذه القيم الصادقة والمحافظة عليها وتطبيقها قولا وعملا في كل التعاملات هي التي جعلت الأمة العربية والإسلامية جديرة بالاحترام ، وبهذه السلوكيات العظيمة لدى السلف الصالح ومن سار على دربهم وتعايشهم مع الكثير من الشعوب الإنسانية وتحليهم بتلك الصفات الجليلة صنعت منهم أمة سامية ، وعززت الثقة بين المجتمعات العربية والإسلامية فيما بينهم وغيرهم من الشعوب الأخرى ، مما حفظ للبشرية توازنها واستقرارها ولم تشغل بالفوضى والفتن واطلقت هذه القيم العنان للعقل البشري آليا نحو الإبداع والابتكار في جميع المجالات ، حتى أن الغرب قديما استفاد من تلك العلوم في فترات ضعفه.

ونظراً للقفز على تلك القيم الفاضلة وتناسي الكثير منها انهارت أمم وشعوب كثيرة نتيجة الغلو والتشدد والظلم الناتج عن الجهل والشواهد كثيرة.

فهل يسارع العلماء والتربويون وصفوة المجتمع إلى احياء هذه القيم الفاضلة والمحافظة عليها بدلا عن القيم المشينة والدخيلة على المجتمعات العربية والإسلامية لتتسلح بها الأجيال القادمة بدلا من السقوط.

shawish22@Gmail.com

إعلان